المحامي شارل شارمن

١

زعيم اللصوص

حادثة واقعية نشرت في اطهر مكان في الصحف الانكليزية

في شهر حزيران ١٩٢٥

شارل كرلك شارمن هو ذلك المحامي الهرم الطائر الصيت واسع الشهرة في المحاماة واخصها الجنايات وقد اكتسب هذه الشهرة اثناء دفاعه عن احد السفاكين المعروف باسم (بايوتر) حتى اصبح يشار اليه بالبنان ويدعى الى اقصى البلاد الانكليزية المرافعة امام اكبر محكمة عليا انكليزية .

احترف هذه المهنة الشريفة منذ نعومة أظفاره اذ كان غلاماً لا يتجاوز الرابعة عشر ربيعاً فما فيها نمو الشجرة الجديدة الثمر في الارض الخصبة فاكتسب مالاً كثيراً وجاهاً وشهرة وكانت القضاة تهابه في الدفاع وتنزل على رأيه في أغلب الاحايين فدققه زملاؤه بالسنة حداد غير انه كان محترماً منهم اذ كان هادىء الطبع حسن الخلق تخفي شيخوخته ما تختلج به قلبه الكبير وكان حاد النظر والذاكرة سريع الجواب ذلق اللسان لا ترد له حجة ولا يجيب له مطلب انتخب رئيساً لعدة نقابات وجمعيات كبرى واخيراً حدثه سوء الطالع الى الوقوع في نقابة اللصوص اعتادت سرقة الاوراق المالية والحوالات من البريد فكان ساعدها الأكبر ومستشارها الاعظم وانغمس في حمأة التزييف والتزوير تحت ستار مهنته الشريفة فقد كان المبجل في المحاكم وسيد القضاة .

كثرت الشكايات في البلاد من تعدد سرقات البريد فسادرت الشرطة جميع ابواب السوابق بدون جدوى لأن اللصوص كانوا يتبادلون الرسائل لاسماء مستعارة ويبعثون ما يسرقونه على هذه الصورة ايضاً لتضليل البوليس

وحدث اخيراً ان سرق من بريد الغرب ٩٠ الف جنيه انكليزياً فضاق رجال البوليس السري بذلك ذرعاً واصبحوا كالكلاب العسيد يقتصون كل من اشتبه

فيه ولكن ما كبهم القدر وازداد حيارهم تعقيداً غير ان ذلك الفشل لم يفت في عضدهم فثابروا على البحث والتنقيب عن رعيم المقصوص الذي هو حجر الزاوية اذ بواسطته تتداول الاوراق المالية قبل الاطلاع على الجرم بايام عديدة وقبل انذار الجمهور بعدم قبولها فاهتدوا الى بعض اوراق مالية مشبوهة صرفت في (كندا) فتعقب البوليس السري سير تلك الاوراق وظل على البحث مدة سنتين بدون جدوى حتى اعيتهم الحيل فاخذوا يستشيرون الحكماء والعلماء فلهم ان يهتدوا الى طريقة ترشدهم الى زعيم اولئك المقصوص وحدا بعضهم الى استشارة الحكيم شارمن ما عرف عنه من الدهاء والمكر والحيل في الوصول الى احسن النتائج وهذا بعد ان شيع الجمهور ورجال البوليس تهكماً وسخرية حتى كاد رئيسهم يفقد صوابه لشدة اضطراب افكاره

ولما تقابل الشرطي مع الحكيم شارمن وعرض عليه الامر استشاط غضباً وكاد يصرعه ارضاً واستطاف البوليس حتى هدأ باله واطمأن خاطره بعد ان علم ان الامر مجرد استشارة فأخذ يشرح الشرطي بعض الطرق التي يتخذها رجال عصابات البريد في الحصول على مآربهم وكيفية تصريفها موجزاً في اقواله ملحاً الى بعض الطرق التي وقف عليها حين دفاعه امام محاكمة امثال اولئك المجرمين وزاد على ذلك اختباراته الشخصية فودعه الشرطي وخرج شاكراً فضله وتتبع اقوال الحكيم شارمن واتخذها برامجاً له في اعماله وسار على منوالها وبها توصلت الحكومة الى القبض على اوراق مالية سابت من البريد

اما شارمن فكان بالطبع يعتقد كل الاعتقاد بانه بعيد عن مثل هذه الشبهات وفي حصن حصين منها اذ بارشاداته اهتدى البوليس السري الى اكتشافات بسيطة جداً عن الحوالات المسروقة وبهذا العمل يكون المدى الى دائرة الشرطة يداً تحطه في مأمن من كل شبهة تحوم حوله ولكن سرعان ما ارتابت الشبهة عليه ودأب ذلك الشرطي النشيط تتبع آثاره والوقوف على حركاته وسكناته لتأييد ظنه وغادر رئيسه بذلك الامر فشاكه ظنه وعاد الى رئيس المفتشين وعرض عليه البحث عن منشأ الحكيم شارمن وعن الطرق التي توصل بها الى الحصول على ثروته الطائلة مع مراقبة اعماله مراقبة شديدة

ولم تكن دائرة الشرطة تعلم عن المقصوص شيئاً سوى انها عرفت ان الاوراق

المالية المسروقة كانت تتداول بأسماء اناس لم تعثر الدائرة على شخص منهم اذ كانت اسماء على غير مسميات فكانوا يبحثون على (جريشوف — مارا — ستيفنس — مارتن) بينما سماتهم الاوراق المالية المسروقة في ليفربول — جلاسكو — مانشستر — كندا — غير انهم كانوا اثراً بعد عين ولم يهتدوا الى قلامة أظفر من اصابعهم .

الا ان في ولاية كندا اهتدوا الى اثر بسيط دعى لاجله رئيس المفتشين في شرطة لندن للذهاب الى كندا لتتبع ذلك الاثر على ان ينتج منه نتيجة حسنة وبعد بذل مجهود كبير توصلوا الى بائع الثلاث اوراق المالية من قروض الحرب الدولية في كندا باسم مارتن ولدى التدقيق من هذا الاسم المستعار ظهر ان مارتن هو المحامي شارل شارمن .

وقف شارمن المحامي الكبير في قفص المتهمين الذي طالما اخرج منه كثيراً من المجرمين بحذقه ومهارته وهو منحني الرأس والظاهر منكسر القلب ينتظر الحكم في مصير شيخوخته بعد ان جرت حادثته هذه بذيل حوادث اخرى من تزوير وتزييف الخ

وما هي الا دقائق معدودات حتى خرج القاضي سوتر وبيده ورقة الحكم موجهاً خطابه الى المحامي شارمن . قائلاً ان شارل كرانك شارمن البالغ من العمر ٧٥ عاماً المحامي لدى محاكم الجنايات العليا اقترف جرم المعلومة اذ ان الناس لا يعتبرون ان تجارته رابحة لا اذا كان على اتصال متين بعميل يقوم بتصريف ما يسرقه وأني مقتنع بانك (شارل شارمن) أمهر محام وقف امام أعلى محكمة جنائية حيث وقد وضعت نفسك تحت طائلة القانون باشتراكك مع اجراء عصابة اللصوص دولية اشتهرت بسرقة البريد وان رجال هذه العصابة السوداء لولا انهم يؤمنون بيع ما يسرقونه بواسطتكم ما كانوا تجرأوا على التهجم على البريد وسرقته بصورة منتظمة صحت لها البلاد من اقصاها الى اقصاها فساعدتهم انت كانت ذا قيمة حقيقية اذ لولاها لكان عملهم (اللصوص) عبثاً ولما استمروا في اعمالهم الشيطانية اذ انهم يعجزون عن تصريف ما يختلسونه فهم في احتياج شديد الى رجل ذو مكانة واقتدار وجاه مثلك يصرف لهم ما يغتنمونه من النهب والسلب فتكون عليهم ان يسرقوا وعليك انت تامين صرف ما يسرقونه في اوربا واميركا باسماء مستعارة وكنت على استعداد لأقراضهم اي نزير كان عند الضرورة وبالطبع لا يوجد أحد في هذا العالم يشك بانك كنت شريكهم في الغنيمة .

وقد اخبرت اثناء التحقيق بأن بعض اموالك التي ارسلت في البريد اخيراً سطا

عليها الفصوص (من عصابات) وسابوعا في ضمن ما عليها ولا يختلج صدري بشك ان الفصوص يسرقون بعضهم احياناً واني لشديد الرغبة في عدم التطويل في هذه المأساة المفجعة اذ ارى ان نفسي تتأثر بشيخوختك ولو كنت (شارمن) شاباً صغيراً لحكمت عليك بسبع سنوات حبس مع التشغيل ولكني اشفق على شيخوختك وسقوطك هذا السقوط الادبي مع ضياع مكانتك العلمية والادبية التي خسرتها البلاد فأخفف عنك الحكم الى ثلاث سنوات مع دفع مصاريف الدعوى) .

« واعتبر القاضي ان ابن شارل شارمن بريء من اعمال والده » .

في قضايا الطلاق

جرت العادة في كل البلاد التي اباحت الطلاق في محاكمها المدنية ان يلجأ الزوج والزوجة عند ما يمل احدهما الآخر ويكره عشرته ان يعمد الى ادعاء الخيانة الزوجية والاعتراف بها من غير ان تكون الخيانة واقعة فعلاً . فكثيراً ما حدث ان زوجاً كره زوجته فهجرها ثم ارسل لها كتاباً منه يخبرها فيه انه خانها مع امرأة مجهولة فتعرض الكتاب على محكمة الطلاق فتحكم بطلاقها وينتهي الأمر .

غير ان احدى محاكم الطلاق في نيويورك قد سنت خطة جديدة في قضايا الطلاق ، فقد عرض عليها منذ امر يكي اسمه المستر سيمفتون قضية اتهم فيها زوجته بارتكاب المكر مع صديق له من الاغنياء ايضاً اسمه المستر شامبرس . فما سألت المحكمة المدعي عليه اعترف بما اسند اليه . وعلى اثر ذلك طلب محامي الزوج من القاضي سجن المتهم لارتكابه جريمة الزنى ، لأن ذلك القاضي واسمه المستر جون فورد كان وهو عضو في مجلس الشيوخ منذ تسع وعشرين سنة من اشد المدافعين عن كل من تثبت عليه تلك الجريمة في قضايا الطلاق

وقد ابى القاضي طلب المحامي وامر بالقبض على المعترف وسجنه ، ولم يطلق سراحه الا بكفالة مالية .

وقد خطا القضاء الامريكي بذلك العمل خطوة جديدة اذ اراحته فيها بقية الامم فقلت عدد قضايا الطلاق وخففت وطأته كثيراً